ينبغيات التصدّي للنزعة المعنويّة الحديثة في بيان الخطوة الثانية للثورة

محمدحسين كياني[1]

ملخّص المقال

تحتلّ المعنويّات مكانة مهمّة في (بيان الخطوة الثانية للثورة)، من حيث إنّ الارتقاء بالمعنويّات الإسلاميّة كان من ضمن الإنجازات التي حقّقتها الثورة على مدى أربعين عامًا من عمرها، فضلًا عن أنّ ارتقائها في المجتمع الإيرانيّ كان من الأهداف المهمّة في الخطوة الثانية للثورة. ولا يخفى أنّ هنالك الكثير من التحدّيات التي تواجه الارتقاء بالمعنويّات في الخطوة الثانية، أهمّها شيوع النزعة المعنويّة الحديثة داخل إيران. من هنا، فإنّ هذا المقال يتكفّل باستعراض النتائج المعرفيّة للمعنويّة الحديثة والآليّات المناسبة لمواجهتها في المجتمع الإيرانيّ، في الحقيقة يترتّب على المعنويّة الحديثة الكثير من النتائج، مثل: إشاعة الإنسانويّة، وتشويه عقيدة المعاد، والدعوة إلى المعنويّة الإباحيّة، وأرضنة العشق، وإضفاء معنى ماديّ على السكينة المعنويّة.

إنّ أهمّ مقاربة لمواجهة النتائج المذكورة هي الارتقاء بمستوى الوعي العامّ. بعبارة أخرى، رفع جودة الوعي بشأن النتائج السلبيّة للمعنويّة الحديثة وتوعية الناس بمحاسن المعنويّة الإسلاميّة بوصفها رؤية كُلِّيّانيَّة على طريق تحقيق المعنويّة الإسلاميّة المدرجة في بيان الخطوة الثانية للثورة.

وعلى هذا الأساس يمكن الإشارة إلى ثلاث استراتيجيّات رئيسيّة: الأُولى: استراتيجيّة قصيرة المدى عنوانها (تشخيص المثالب المعرفيّة والثقافيّة والاجتماعيّة للمعنويّة الحديثة).

---

١. دكتوراه في الفلسفة التطبيقيّة من جامعة (قم) وباحث في جامعة المصطفىﷺ العالمية. البريد الإلكتروني: kiani61@yahoo.com.

الثانية: استراتيجيّة متوسطة المدى، وهي (تغيير نظرة الإيرانيين تجاه عقائد المعنويّة الحديثة).
الثالثة: استراتيجيّة طويلة المدى، هي (ارتقاء الوعي بعيوب المعنويّة الحديثة ومحاسن المعنويّة الإسلاميّة من أجل جنوح الإيرانيين نحو عقائد المعنويّة الإسلاميّة ومستلزماتها).

مفاتيح البحث: المعنويّة الحديثة، النتائج المعرفيّة، الغزو الثقافيّ، آليّات المواجهة، قائد الثورة الإسلاميّة.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

مقدّمة

الثورة الإسلاميّة في إيران هي الثورة الوحيدة من بين ثورات التاريخ الإنسانيّ التي ما زالت تستند إلى مبادئها وشعاراتها على الرغم من مرور أربعين عامًا على ولادتها وتأمل في تحقيق طموحاتها العريضة. وفي هذه الأثناء تعدّ مسألة إدراك المسافة التي تفصل بين ما يجب وما هو واقع أهمّ معضلة مطروحة أمام الثورة. بعبارة أدقّ: ما الإنجازات التي استطاعت الثورة تحقيقها بعد مضيّ أربعين عامًا من عُمرها؟ وما الطموحات العريضة الأخرى التي ترسمها لنفسها في ضوء تلك الإنجازات المتحقّقة؟ كما يمكن بالاستناد إلى هذه النظرة تقييم حالات التقدّم في مجال المعنويّات بعد انقضاء أربعين سنة وتصوير الأهداف الواسعة في هذا المجال.

من خلال مطالعة (بيان الخطوة الثانية للثورة) ترتسم أمامنا - من جهة - النجاحات والإنجازات التي حقّقتها الثورة الإسلاميّة بعد مرور أربعين عامًا، ومن جهة أخرى يرسم لنا هذا البيان الغايات والأهداف المنشودة في العقود التالية. وفي الواقع أنّ من أبرز النّجاحات التي تحقّقت خلال السنوات الأربعين الماضية هي:

١- إرساء أسس الاستقرار والأمن والحفاظ على وحدة الأراضي الإيرانيّة.

٢- عدم توقّف عجلة التقدّم في البلاد في مجال العلم والتقنية واستحداث البنى التحتيّة الحيويّة والاقتصاديّة والعمرانيّة.

٣- بلوغ مستوى المشاركة الشعبيّة الذروة والسباق المحموم في تقديم الخدمات.

٤- الارتقاء المدهش بالوعي السياسيّ لكلّ مواطن في هذا البلد.

٥- ترجيح كفّة العدالة في توزيع الثروات العامّة للبلاد.

٦- الارتفاع الملفت في مستوى المعنويّات والأخلاق في المجال العامّ.

٧- تعاظم الصمود في وجه المُستكبرين والمتجبّرين والطغاة في العالم، كما تتضمّن لائحة الإنجازات أيضًا في المقابل العديد من التوصيات الخاصّة، وأهمّها ما يتعلّق ببعض القضايا مثل: العلوم والبحوث، المعنويات والأخلاق، الاقتصاد، العدالة ومحاربة الفساد، الاستقلال والحريّة،

العزّة الوطنية، العلاقات الخارجيّة، التمايز عن العدوّ، وبساطة العيش.

وتشكّل (المعنويّة) واحدة من أهمّ المسائل الأساسيّة للثورة الإسلاميّة، ولطالما أكّد عليها قائد الثورة الإسلاميّة في أحاديثه، لا سيّما في (بيان الخطوة الثانية للثورة) تحت عنوان (البركات العظيمة للثورة الإسلاميّة) و(الخطوة الثانية: العناوين والوصايا الأساسيّة). وبالاستناد إلى البيان المذكور استطاعت الثورة الإسلاميّة خلال العقود الأربعة الماضية رفع مستوى المعنويّات والأخلاق في الفضاء العامّ للمجتمع، وقد علّق القائد على هذا النجاح بقوله:

ارتفع ميزان المعنويّات والأخلاق في الفضاء العامّ للمجتمع بشكل مدهش، ومردّ هذه الظاهرة المباركة وقبل كلّ شيء هو سلوك الإمام الخميني طيلة فترة نضاله وبعد انتصار الثورة الإسلاميّة، لقد تبوّء هذا الإنسان المعنويّ والعارف المنزّة من شوائب الماديّة قمّة هرم السلطة في بلد يمتّ شعبه بجذور عميقة إلى الإيمان. على الرغم من أنّ يد التهتّك ودعايات نشر الانحلال والفساد طيلة الحكم البهلوي قد سدّدت إلى هذا الشعب ضربات قاصمة، فنفذت إلى صميم حياة الطبقة الوسطى لا سيّما شريحة الشباب وحوّلتها إلى مستنقع للرذيلة الأخلاقيّة الغربية، إلّا أنّ الرؤية الدينيّة والأخلاقيّة للجمهورية الإسلاميّة استطاعت اجتذاب قلوب المؤمنين، وخصوصًا الشباب منهم، فتحوّلت الأوضاع لصالح الدين والأخلاق، وخاض الشباب غمار الشدائد والصعاب وعلى رأسها الحرب التي فُرضت علينا ومحاربتهم بسلاح الذّكر والدّعاء، وشاعت روح الأخوة والتضحية، واستحضُرت بطولات صدر الإسلام في عقل ووجدان الجميع. وكان الآباء والأمّهات والزوجات يودّعون أعزّائهم وهم يتوافدون على جبهات الجهاد؛ شعورًا منهم بالمسؤوليّة الدينيّة، وعندما كان يعود ذويهم من جبهات القتال أجسادًا مضرّجة بالدماء أو مقطّعة الأوصال، كانوا يتلقّون هذه المصيبة بالسجود لله شكرًا وحمدًا. فازدانت المساجد والأماكن الدينيّة بهذه المشاهد المهيبة التي لم نشهدها من قبل. واليوم أيضًا نشهد وقوف آلاف من الشباب والأساتذة والطلاب نساءً ورجالًا في صفوف طويلة ينتظرون دورهم في الاعتكاف، أو في معسكرات الجهاد. كما امتلأت سوح جهاد البناء

وتعبئة البناء بآلاف الشباب المتطوّعين والمضحّين. ويمكن ملاحظة إقامة فريضة الصلاة والحجّ والصوم وزيارة الأماكن المقدّسة سيرًا على الأقدام ومختلف المراسم والمناسبات الدينيّة والإنفاق والتصدّق الواجب والمستحبّ في كلّ مكان وزمان، خصوصًا بين جموع الشباب، وما زلنا نشهد تجدّد مثل هذه المناظر الرائعة في كلّ يوم، ويحدث هذا في عصر نشهد فيه السقوط الأخلاقيّ للغرب يومًا بعد آخر، ويعمل أنصاره من خلال الدعاية الواسعة على جذب الرجال والنساء إلى مستنقع الرذيلة والفساد الأخلاقيّ، فيما تزداد الأخلاق والمعنويّة انزواءً وعزلةً في أرجاء واسعة من هذا العالم. لا ريب في أنّ تلك كانت مُعجزة أخرى من معجزات الثورة والنظام الإسلاميّ الفاعل والتقدّمي.[1]

وعلى هذا الأساس، فإنّ موضوع المقالة هو: ما الآليّات المطلوبة لمواجهة المعنويّة الحديثة تحقيقًا لآفاق المعنويّة المدرجة في (بيان الخطوة الثانية للثورة).

بادئ ذي بدء، نستعرض التحدّيات المعرفيّة التي تسبّبها المعنويّة الحديثة، فتعيق تحقيق أهداف البيان المذكور، ثم نشير في الختام إلى بعض الآليّات المطلوبة لمواجهة التحدّيات الثقافيّة بهدف تثبيت أركان المعنويّة الإسلاميّة.

١) المعنوية الحديثة وما تفرضه من تحدّيات أمام تحقيق أهداف الخطوة الثانية

المعنويّات والأخلاق الحقيقيّة من وجهة نظر قائد الثورة، تعني «تعزيز القيَم المعنويّة مثل: الإخلاص والتضحية والإيثار والتوكّل والإيمان بالذات والمجتمع، فيما تُمثّل الأخلاق مراعاة الفضائل كحبّ الخير والعفو والصفح، ومساعدة المحتاجين، والصّدق، والشجاعة، والتواضع، والثقة بالنّفس وسائر الفضائل الأخلاقيّة الأخرى.

فالمعنويّات والأخلاق هي الموجّه لجميع الحركات والنشاطات الفرديّة والاجتماعيّة وهي حاجة المجتمع الأصليّة، فوجودها يجعل واقع الحياة جنّة حتى مع وجود النّقائص الماديّة، وعدم وجود تلك المعنويّات يُحيل تلك البيئة إلى جهنّم وإن كانت مليئة بالملذات الماديّة».[2]

---

١. من أحاديث قائد الثورة الإسلامية، بيان الخطوة الثانية للثورة.

٢. لمزيد من التفاصيل راجع: https://farsi.khamenei.ir/message-content.

وهكذا ينبّه قائد الثورة الإسلاميّة أوّلًا وقبل كلّ شيء إلى التحدّيات في الخطوة الثانية لدى حديثه عن مكانة (المعنويّات والأخلاق):

كلّما تعاظم مستوى الشعور المعنويّ والضمير الأخلاقيّ في المجتمع، ازدادت البركات والخيرات، ولا شكّ أنّ ذلك يحتاج إلى المجاهدة والسّعي اللذيْن لا يتحقّقان إلّا بمشاركة الحكومة ودعمها، ومع ذلك لا تتحقّق الأخلاق والمعنويّة بإصدار الأوامر، ولا يمكن للحكومات فرضهما بالقوّة والإكراه؛ إذ ينبغي أوّلًا أن تمتلك الحكومات نفسها السلوك والأخلاق والمعنويّات الفاضلة. وثانيًا تهيئة الأرضيّة لإشاعة تلك الفضائل داخل المجتمع والسّماح للمؤسّسات الاجتماعيّة في هذا المجال بممارسة أعمالها ونشاطاتها ودعمها ومساعدتها، ومحاربة البؤر التي تُعادي المعنويّات والأخلاق بأساليب ووسائل معقولة، وباختصار، عليها ألّا تسمح لأصحاب جهنّم بجرّ الناس ودفعهم إلى جهنّم بالقوّة والإغراء. إنّه لأمر خطير للغاية أن تمتلك المراكز المُعادية للمعنويّات والأخلاق وسائل إعلام متطوّرة وواسعة، وهو ما نشهده في الوقت الحاضر من الهجوم المتواصل للعدوّ على القلوب الطاهرة للشباب، بل وحتى الصغار، عَبر تلك الوسائل. ثمّة واجبات كبيرة تقع على عاتق المسؤولين الحكوميين في هذا المجال وعليهم تأديتها بمسؤولية وذكاء، لكنّ هذا لا يعني رفع المسؤوليّة عن الأفراد والمؤسسات غير الحكومية. إنّ أمامنا مرحلة مهمّة تقتضي إعداد برامج قصيرة المدى ومتوسطة المدى في هذه المجالات[١].

في هذه الأثناء يشكّل ازدهار النزعة المعنويّة الحديثة أحد التحدّيات الرئيسيّة التي يواجهها المجتمع الإيرانيّ في مسعاه لتحقيق المعنويّة والأخلاق الإسلاميّة، ويكمن التحدّي المذكور في الاختلافات البنيويّة القائمة بين المعنويّة الحديثة (العلمانيّة) من جهة، وبين المعنويّة الإسلاميّة من جهة أخرى. وفي الحقيقة تنطوي روح التعاليم الخاصّة بالمعنويّة الحديثة على عناصر بنيويّة تتناقض بشكل بدهيّ مع مكوّنات المعنويّة الإسلاميّة، وفيما يأتي بعض تلك العناصر كأمثلة للتحدّيات الخطيرة التي تتضمّنها العديد من تعاليم المعنوية الحديثة[٢]:

١. من أحاديث قائد الثورة المفدّى، بيان الخطوة الثانية.

٢. لمزيد من التفاصيل انظر: كياني، *مولفه‌های معنويت نويديد در ايران*.

١-١) الإنسانويّة

في الكثير من التيّارات المعنويّة يتمّ ذكر الله سبحانه، ممّا يعني أنّه يُنظر إلى وجود الله كأمر مفروض وبدهيّ، لكنّ المسألة هي في دوره ومدى تدخّله في الشؤون الإنسانيّة، فالإله في مثل هذا النوع من المعنويّات حقيقة تفتقد للإرادة والصلاحيّة والقدرة على التدخّل في شؤون العالم، فيكون الإنسان هو صاحب الإرادة والقدرة المطلقة. هذه التعاليم تستحضر المفهوم الفلسفيّ للإنسانويّة؛ ولهذا فإنّ الكثير من الحركات المعنويّة يُعدّ مصداقًا واضحًا لمعنويّة إنسانويّة.

في الحقيقة أنّ الحركات الدينيّة الجديدة تضع الإنسان في مقام الإله بسبب اتّباعها للمبادئ الحداثويّة، ولا سيّما الفلسفة الإنسانويّة أملًا منها في وضع حلول إلهيّة لمشكلات الإنسان، والحال أنّ ذلك يعدّ فاتحة لمشاكل إنسان يفتقد للمعنويّات، أو قلّ إن شئت، إنسان بلا إله.

يقول (بول توتشل):

> **الإنسان هو الذي يسمح لله بأن يكون له وجود، ولولاه ما كان لله أيّ شكل، أو صورة، ولَمَا امتلك أيّ وسائط أو وسائل يستطيع بها نَقل مقاصده إلى البشر، لولا أن وضع البشر نفسه تلك الوسائط في متناول يده. بعبارة أخرى، لا يستطيع الله التجلّي في أيّ صورة سوى الصورة التي تختلقها له قوّة التخيّل عند الإنسان، فيتمكّن من التجلّي عن هذا الطريق، وهذا هو السبيل الوحيد الذي يتيح لله الوصول إلى هذه الطبقة الأرضيّة، فالله يسلك هذا المجرى لينزل إلى العالم الأرضي والتجلّي للبشر.**[1]

٢-١) تحريف مفهوم المعاد والبعث

يُعَرَّف (التناسخ) - وهو من التعاليم المشهورة في الديانة الهندوسيّة - بأنّه انتقال روح الإنسان في كلّ الأحوال بعد موته من جسده إلى جسد شخص آخر - إلّا في حالة واحدة خاصّة وهي اتّحاد روحه في عليّين مع (براهما) أو ضياعها في أسفل سافلين إلى الأبد - لتمرّ بسلسلة من الولادات

١. تويتشل، *سرزمين‌های دور*، ص٢٨.

والتجدّد الحياتي، والخروج من عالم إلى آخر باستمرار. وفي كلّ دورة من تلك الأدوار يعيش الإنسان حياته لتنتقل بعدها روحه إلى جسد شخص آخر عند وفاته.

ورد في بعض الكتب الهندوسيّة المقدّسة أنّ الإنسان ونتيجة لارتكابه المعاصي يتحوّل إلى مخلوقات أخرى مختلفة، على سبيل المثال قد يتحوّل إلى موجود بلا روح بسبب ذنوبه الكثيرة، أو يتحوّل إلى جسد طائر مُعيّن بسبب ذنوبه الكلاميّة، أو يجدّد حياته في طبقة سُفلى من المخلوقات بسبب معاصيه الناجمة عن ذهنه وفكره خلال سنوات طوال، وهكذا.[١]

وثمّة الكثير من العلل والأسباب التي أدّت إلى الاستعانة بنظريّة التناسخ من قِبل أنواع الحركات الجديدة، لا سيّما النوع الغربيّ منها، وفيما يأتي نشير إلى حالتين اثنتين:

الحالة الأولى: في الكثير من الحركات الدينيّة الحديثة يحاول المرء أرضنة العديد من العقائد والمبادئ الغيبية للأديان (وخصوصًا الأديان التوحيديّة) بمعنى إعطاؤها تفسيرًا أرضيًّا بشريًّا ودنيويًّا وهو ما يظهر في الكثير من تعاليم تلك المدارس والحركات، مثلًا: محوريّة الإنسان بدلًا من محوريّة الله، والإيمان بالتناسخ بدل الإيمان بالمعاد، أو الإيمان بالأفعال الخارقة بدلًا من الإيمان بالمعجزات وهكذا، فهذه التيّارات تظهر من خلال محاربتها للمعنى والمعنويّات بالاستناد إلى الماديّة.

الحالة الثانية: يتمّ توظيف التناسخ أحيانًا كقوّة اجتماعيّة وسياسيّة رادعة، بحيث إذا تنصّل شخص من الامتثال للعقود الاجتماعيّة، فإنّه يتحوّل إلى حيوان أو نبات أو ربّما جماد، على سبيل المثال: إذا ارتكب الشخص خيانة اجتماعيّة، أو سرق شيئًا ما، أو مارس العنف، أو جريمة القتل، أو خرج على سلطة الحاكم والسياسيّ، فإنّه بذلك يستحقّ التحوّل إلى أحد الحيوانات، أو النباتات، أو الأشياء الأخرى، وتندرج هذه الأعمال في إطار الاستخدام الأداتيّ للمعنويّة والدين.

---

١. يقول ساتيا ساي بابا (مؤسّس إحدى الحركات الشرقيّة) حول التناسخ: عندما يموت الإنسان، فإنّه لا يفنى تمامًا، أي أنّه لا يصل إلى (نيروانا)، وفي أفضل الحالات، فإنّه سيهيم بين السماء والأرض (الجنة)، ويبقى هناك لمدّة مُعيّنة كما يستحقّ، وبعد ذلك سينزل إلى الأرض ثانية؛ لكي يسعى من جديد للوصول إلى الخلود والفلاح. [ساي بابا، *گيتاي جديد*، ص١٩١].

فمثلًا: تقوم هذه الأديان عبر مفهوم التناسخ بتسويغ أنواع الآلام والنقائص والعذابات التي يفرضها رجال السياسة على الناسخ، كما تدّعي أنّه إذا تحلّى أفراد المجتمع بالصبر، وتحمّلوا الصعاب والظلم الاجتماعيّ، ولم يعمدوا إلى الشغب والعصيان، فإنّهم سينعمون بحياة هانئة وراحة دائمة في العالم الآخر.

٣-١) النزعة الإباحيّة ومخالفة الشريعة

للشريعة الدينيّة مزايا فرديّة واجتماعيّة جمّة، والنزوع نحو الشريعة على الصعيد الفرديّ ينطوي على الرشد والكمال الجسدي والروحي للإنسان، أمّا على الصعيد الاجتماعيّ، فإنّ الشريعة تشيع النظام والانضباط الجماعيّ، إلّا أنّ الشريعة الحقيقيّة في مسارها التاريخيّ غالبًا ما كانت تواجه تيّاريْن مُعارضيْن وما زالت يتمثّل التيّار الأوّل في النزوع المفرط نحو الشريعة، والتيّار الثاني هو تقنين عنصر الماديّة من حيث إنّها دعوة إلى تأصيل اللذّة والتمحور حولها.

في الحقيقة أنّ المعنويّة الحديثة تعني مخالفة الشريعة، بل إنّها دين بلا شريعة، أي أنّ المدارس المعنويّة الحديثة تحاول اجتذاب الباحثين عن المعنويّات وتحويلهم إلى أفراد ينفرون من الشريعة ويضادّونها، ويسعون إلى إلغاء الشريعة من خلال تشويه مبدإ قيام العالم على النظام والقانون.

على سبيل المثال يقول (أوشو) لمريديه في شعاره المعروف (الكائنات كلّها عبارة عن مزحة!):

غالبًا ما يكون الله في مزاح، فلو نظرنا إلى حياتنا سنضحك، انظروا إلى حياة الآخرين ستجدون أنّها ليست سوى مزحة. مزحة ... مزحة... مزحة ... وحده المرض هو الجدّ، ما من علاقة أبدًا بين الحقيقة والمعنويّة، فالمعنويّة ضحك ولعب ولهو. إنّني لم أصل بَعد إلى مرحلة الكمال لكنّي استطعت أن التذّ بنقائصي. ما من أحد يستطيع بلوغ الكمال، فالحياة أبديّة، لا يمكن الحصول على الكمال والحياة مستمرّة على الدّوام، وستبقى كذلك إلى الأبد، النقصان هو حقيقة الحياة. أنتم تسعون لبلوغ الكمال وأنا اكتفيت بقبول نقائصي.[1]

ويُتابع (أوشو) كلامه قائلًا:

جميع الأديان قائمة على حجج ومعاذير مزيّفة، وكلّ المذاهب كاذبة، ويمكنها أن تختلق

١. أشو، *تعليمات تانترا* ٣، ص٨٦.

معاذير عديدة وجديدة وإيجاد أديان جديدة أخرى، وتبلى المعاذير والحجج القديمة، وتتقادم الكذبات، وتندثر لتظهر الحاجة إلى اختلاق كذبات جديدة أخرى.[١]

٤-١) التفسير الماديّ للراحة المعنويّة

أصبحت مسألة تأمين الراحة في عالمنا المعاصر حاجة إنسانية مُلحّة، وهي حاجة بدأ الناس يفتقدونها يومًا بعد يوم في العصر الحديث، وإذا كانت الأديان السماوية تؤكّد على أنّ طريق الوصول إلى الراحة والسعادة يبدأ بالاتّصال بالله سبحانه، فإنّ الفِرق والمذاهب الأخرى الحديثة تستبدل الإنسان الضعيف بالله القوي العزيز؛ ولذلك تجده يبحث عن راحته وسعادته في الإنجازات الدنيويّة الماديّة، بينما أضحت تلك الإنجازات الماديّة والاختراعات الدنيويّة والتقدّم التكنولوجي، السبب الرئيسيّ في سلب الراحة والاستقرار من البشريّة. بعبارة أخرى، لو كان بمقدور الإنجازات الماديّة والتقدّم التكنولوجيّ منح الإنسان الراحة والاستقرار، فلماذا يواجه الإنسان الغربيّ كلّ هذه التحدّيات والمشاكل النفسيّة رغم أنّه يعيش في ذروة التقدّم التكنولوجيّ والماديّ؟

يرى (كريشنا مورتي) أنّ الاهتمام بالجمال الماديّ يمكن أن يمنح الإنسان الراحة والسكينة التي يحتاج إليهما، ويقول: «**لكي يتمكّن الإنسان من تحقيق الراحة والسلام الباطنيّ، لا بدّ له من التعرّف على الجمال؛ ولهذا نقول: عليك أن تشعر بالجمال من حولك طالما كنت شابًّا، وأقصد جمال الأبنية والأجهزة والإمكانات التي نحتاجها، والجمال بفضل النظافة، وكذلك جمال السكوت. بفضل الجمال يمكن أن نشعر بالحبّ؛ لأنّ معرفة الجمال تعني الراحة والسكينة القلبيّة**».

كما يعتقد (كريشنا مورتي) أنّ الإنسان كلّما تقدّم في العمر يلحظ الكثير من القبائح، قبح الأبنية وقبح الأشخاص الذين يتّصفون بالكراهيّة والعنف والأنانيّة والوصوليّة والجشع والبخل، فإذا كانت مفاهيم الجمال هذه موجودة في أعماقنا لكنّها لم تكن ثابتة ومتجذّرة، فلا شكّ في أنّ أمواج القبح الموجودة في عالمنا ستجرفنا معها إلى أيّ مكان تشاء، وعندئذ سنرى أنفسنا في صراع دائم ومستمرّ في البحث عن السلام والراحة في أذهاننا.[٢]

---

١. أشو، شهامت، ص٢٠.

٢. مورتي، *زندگي پيش رو*، ص١٧٣.

٥-١) أرضنة الحبّ المعنويّ

يحتلّ الحبّ مكانة رفيعة في بعض المدارس المعنويّة الحديثة، على سبيل المثال، يُعرّف (أشو) الحبّ في الكثير من أقواله بالعلاقة الجنسيّة، ويقول في كتابه المسمّى (*الشمس في الظلّ*): «**إنّ النشوة والغرام الحاصليْن من اللذّة الجنسيّة هما في الحقيقة قبس من الوجد العرفانيّ**».[١]

هذا، وتشير تعاليم (أشو) بشأن العلاقة الجنسيّة إلى عدد من النقاط المهمّة منها:

أ- يحصل التحوّل المعنويّ بسبب العلاقة الجنسيّة، أي أنّ الخطوة الأولى، أو بوابة الدخول إلى التحوّل المعنويّ، هي العلاقة الجنسيّة. ويقول (أشو): «يعتبر (تانترا Tantra) الفيلسوف الشرقيّ الكبير أنّ الجماع هو أقدس وأهمّ طاقة حياتيّة، فكلّ التغييرات والتحوّلات تحصل بفضل هذه الطاقة»،[٢] لا شكّ في أنّ هذا يُعدّ تسويغًا لإزالة قبح الصورة عن العلاقة الجنسيّة الحرّة، كما ينصح (أشو) بالدّعاء قبل البدء بمداعبة المرأة أو الرّجل؛ لأنّ تلك هي اللحظة التي سيحصل فيها اللقاء الملكوتي للطاقات، وأنّ الله سيحيط بالمرء، فالله موجود حيثما وُجد عاشقان، ومتى التقت طاقات العاشقيْن واتّحدا بالجماع كانت الحياة قائمة هناك، حياة في أفضل صورة والله يحيط بهما، الكنائس خالية من الناس، وغُرف الحبّ والعشق مملوءة بالآلهة.[٣]

ب- رفض الزواج (الاعتيادي المعروف) والإصرار على العلاقات (الجنسيّة) الحرّة؛ إذ يرى (أشو) أنّ عقد الزواج يحول دون تجلّي الحبّ، وهو لا يقول إذا عشقت امرأة فلا تعش معها، بل ابق معها وعاشرها، ولكن كن صادقًا ووفيًا لحبّك وليس للمرأة نفسها... فإذا زال الحبّ واختفت البهجة والفرح، وجب عليك الاستمرار في التحرّك... فإذا شعرت في أيّ وقت بأنّك لم تَعُد تُحبّ أيّ شيء، وفقدتْ الأشياء جاذبيّتها، وما عادت تبهجك وتُفرحك، عليك بالتخلّي عنها وتركها. قل لها فقط: أنا آسف،[٤] إنّني من أشدّ أنصار الحبّ، والحبّ لا يفلح مع الزواج، ولا أعوّل كثيرًا على الزواج![٥]

---

١. أشو، *يک فنجان چای*، ص١٨٨.
٢. المصدر نفسه، ص٣٨٣.
٣. أشو، *يک فنجان چای*، ص١٧٧.
٤. أشو، تعاليم تانترا ٣، ص ١٠٧.
٥. المصدر نفسه، ص ٢٣٠

٢) آليّات مواجهة النزعة المعنويّة الحديثة

هنالك الكثير من العوامل والأسباب التي أدّت إلى ظهور المعنويّة الحديثة، وغالبًا ما تتجلّى تلك العوامل والأسباب بشكلٍ واضحٍ في المجال الشخصيّ والأُسريّ والاجتماعيّ والثقافيّ والسياسيّ والاقتصاديّ والأمنيّ على حدّ سواء، بحيث يمكن تحليلها ودراستها جميعًا تحت عنوان (الحداثة)[١].

وقد زادت الوجوه المتكثّرة والأبعاد المتعدّدة من صعوبة تلك المعنويات لجهة بيانها وتقديم تعريف مُحدّد لها، كما أنّ تلك الوجوه تزيد من تعقيد الأساليب الخاصّة بمواجهة تلك الظاهرة بشكل جديّ. والنقطة المهمة هنا هي أنّ أسباب انتشار هذه الظاهرة والترحيب بها في إيران رغم أنّها تمثّل مصداقًا للغزو الثقافيّ، هي غير أسباب تشكّل الفرق الحديثة في البلدان الأصليّة والإقبال عليها هناك.

من هنا نعتقد بأنّ مقاربة المسؤولين في مواجهة المعنويّات الحديثة، لا بدّ أن تستند إلى التوعية والارتقاء بالأساليب والآليّات بهدف تحسين مستوى نشر المعلومات ودقّتها. بعبارة أخرى، على الرغم من تعدّد الأسباب التي تقف وراء إقبال الإيرانيين على المعنويّات الحديثة، إلّا أنّ العامل الأساسيّ والمفتاحيّ لذلك يكمن في فقر الثقافة الدينيّة لدى أتباع تلك المعنويّات، بحيث إنّ قلّة اطّلاعهم على جوهر المعنويّات الحديثة وجهلهم بنتائجها السلبيّة في مجال البحوث المعرفيّة والاجتماعيّة، يُعدّ العامل الرئيسيّ لإقبالهم على تلك المعنويات الحديثة؛ ولهذا فإنّ الخطوة الأساسيّة لمواجهتها هي في رفع مستوى معلوماتهم واطّلاعهم على النتائج السلبيّة لتلك المعنويّات.

إذًا، فالاستراتيجيّة الأصليّة لمحاربة تيّار المعنويّة الحديثة، تتمثّل في رفع مستوى الوعي العامّ تثبيتًا لأركان المعنويّة الإسلاميّة المذكورة في (بيان الخطوة الثانية للثورة)، ولبلوغ هذا الهدف

١. كتب مارشال برمن يقول: «نلاحظ اليوم وجود شكلًا خاصًّا من التجربة الحياتيّة والزمانيّة والمكانيّة وتجربة النّفس والآخرين وتجربة الإمكانات والذكريات الحياتيّة؛ حيث يشترك الرجال والنساء في ذلك على حدّ سواء في العالم. إنّني أُسمّي هذه المجموعة أو الكميّة من التجارب بالحداثة... إنّ البيئة والتجارب الحديثة تخترق جميع الحدود الجغرافيّة والقوميّة والوطنيّة والدينيّة والأيديولوجيّة، وبناءً على ذلك يمكن القول: إنّ الحداثة تضفي الوحدة على جميع أفراد البشر.» [برمن، *تجربه مدرنيته*، ص١٤].

أمامنا ثلاث استراتيجيات مهمّة يمكن تطبيقها:

- الاستراتيجيّة الأولى قصيرة المدى، وتتمثّل في (تشخيص المثالب المعرفيّة والثقافيّة والاجتماعيّة للمعنويّة الحديثة).
- الاستراتيجيّة الثانية متوسطة المدى، وهي عبارة عن (تغيير نظرة الإيرانيين تجاه عقائد المعنويّة الحديثة).
- الاستراتيجيّة الثالثة طويلة المدى، وهي (ارتقاء الوعي بعيوب المعنويّة الحديثة ومحاسن المعنويّة الإسلاميّة، من أجل جنوح الإيرانيين نحو عقائد المعنويّة الإسلاميّة ومستلزماتها).[1]

١-٢) برنامج المباشرة بتطبيق الاستراتيجيّة قصيرة المدى

لغرض تطبيق الاستراتيجيّة الخاصّة بـ(تشخيص المثالب المعرفيّة والثقافيّة والاجتماعيّة للمعنويّة الحديثة) يمكن الإشارة إلى البرامج التالية التي يلزم تطبيقها بشكل كامل:

١- تنظيم المعلومات المتعلّقة «بخلفيّة النشاطات العمليّة والعلميّة في مجال بحث ونَقد المعنويّات الحديثة»، و«أسماء الباحثين والمنظمات التي تعمل في هذا الحقل»؛ من أجل إيجاد أرضيّة للمجاهدة الشاملة لرفع مستوى الوعي بشأن النتائج السلبيّة للمعنويّة الحديثة.

٢- خلق قفزة واسعة داخل مختلف منظمات النظام ومؤسّساته، خصوصًا المؤسّسات الثقافيّة بهدف التوعية بالنتائج السلبيّة للمعنويّة الحديثة.

---

١. هنالك بعض الإضافات كذلك على الاستراتيجيّات الثلاث المذكورة وأهمّها: ١- إنّ الهدف من ذلك في المجتمع هو الشباب الإيرانيّ، ومن هنا، فإنّ مُعظم البرامج المُعدّة يتعلّق برفع مستوى المعرفة لدى الشباب. ٢. قبل البدء بتطبيق الاستراتيجيّات المذكورة، فإنّ ثمّة مقدّمات لا بدّ من أخذها بعين الاعتبار، وهي: إيجاد الاهتمام لدى المسؤولين وحلّ خلافاتهم وبيان نقاط الاشتراك فيما بينهم حيال ضرورة بلوغ الهدف الشامل، إصلاح بعض القوانين والرّؤى غير الواقعيّة بشأن الفِرق والحركات الجديدة، تنظيم بعض البحوث الميدانيّة حول الفِرق والحركات الحديثة من أجل بيان التصوّر الصحيح والواقعيّ عن مقدار تأثير تلك الفرق والحركات في طبقة الشباب وغيرهم. ٣- تطبيق الاستراتيجيّات والأساليب في فضاء زمنيّ وبشكل ترتيبيّ ومتّصل من أجل أن يكون تأثيرها فاعلًا وكبيرًا. [راجع: كياني، *برنامه ريزى راهبردى درباره ارتقا آگاهى عمومى در خصوص فرقه‌هاى جديد*].

٣- تشكيل لجان علميّة منسّقة ومنسجمة لرصد الشبهات المعنويّة في بطون الكتب والمؤلّفات الغربيّة، وعلى صعيد المجتمع الإيرانيّ وتصنيفها بدقّة بحسب موضوعاتها.

٤- تشكيل لجان اختصاصية للإجابة عن الشبهات المذكورة.

٥- إقامة أنواع الدورات التعليميّة للأساتذة في المراحل الجامعيّة والمدراء والمسؤولين التعليميين والتربويين.

٦- إقامة دورات تعليميّة لتخريج المعلّمين والمستشارين والباحثين في مجال الإجابة عن شبهات المعنويّات الحديثة.

٧- تسجيل الدورات التعليميّة على شبكات الإنترنت؛ من أجل التعرّف على مثالب المعنويّات الحديثة وكيفيّة انتقالها بين المُخاطبين.

٢-٢) برنامج المباشرة بتطبيق الاستراتيجيّة متوسطة المدى

لتطبيق استراتيجية (تغيير نظرة الإيرانيين تجاه عقائد المعنويّة الحديثة)، فإنّ البرامج التالية كفيلة بذلك، ويلزم تطبيقها بشكلٍ كاملٍ:

١- وضع برامج استثنائيّة للسيطرة على انفعالات الشباب في مجالات الرياضة والفنّ والعمل والترفية.

٢- البحث النقديّ لبعض النظريّات الدينيّة والمعنوية، مثل: مقالة (الدين يؤيّد الحروب التاريخيّة)، و(اضطراب الشريعة في مجال المعنويّات)، و(طرق الوصول إلى الله تعالى)، وغير ذلك.

٣- تحليل أسس بعض النظريّات، مثل: نظريّة الأخلاق العلمانيّة، والمعنويّات العَدَميّة (Nihilism)، وبعض النظريّات الخاصّة بالمثاليّة الألمانيّة ومدارس التحليل اللسانيّ حول الدين ...

٤- بيان شامل للعلاقة بين السياسة والإمبرياليّة، وبين تشكيل الفِرق والمذاهب على مدى التاريخ في أوساط الشباب الإيرانيّ.

٥- صناعة الأفلام الوثائقيّة التي تصوّر أسلوب حياة أتباع الفِرق الدينيّة والنِحل المعنويّة.

٦- صناعة وثائقيّات نقديّة حول المعنويّات الحديثة.

٣-٢) برنامج المباشرة بتطبيق الاستراتيجيّة طويلة المدى

لغرض تطبيق استراتيجيّة (ارتقاء الوعي بعيوب المعنويّة الحديثة ومحاسن المعنويّة الإسلاميّة من أجل جنوح الإيرانيين نحو عقائد المعنويّة الإسلاميّة ومستلزماتها)، فالبرامج التالية تكفل تحقيق ذلك مع ضرورة تطبيقها بشكلٍ كاملٍ:

١- إقامة دورات عليا لنَقد الفِرق الدينيّة والمعنويّة الحديثة؛ من أجل التعرّف على هذه الظاهرة الاجتماعيّة ونَقدها بصورةٍ علميّةٍ منصفةٍ.

٢- إعادة النظر في فصول وموضوعات المناهج المدرسيّة الخاصّة بالفروع المرتبطة بالفِرق الدينيّة والنِحل المعنويّة (علم النّفس والاجتماع والفلسفة والدين والأخلاق...).

٣- التركيز على قدرات الوالديْن والمؤثّرين الثقافيين وتنظيمها، وخصوصًا رجال الدين والجامعيين والمثقّفين للحؤول دون انحراف الشباب في المسائل المعنويّة.

٤- إيجاد الأرضيّة المناسبة للإبداع في عرض المعارف الإسلاميّة.

٥- استثمار الفِرَق الدينيّة والمدارس المعنويّة للفُرص المتاحة بُغية استعراض نشاطاتها وتقديم التعاليم والنتاجات المعنويّة الشيعيّة.

٦- إعداد التصاميم البحثيّة ومُقدّمي البرامج من ذوي الخبرات والتجارب بهدف إحياء التقاليد والكُتب العرفانيّة.

٧- إعادة النظر في أساليب ووسائل التوسّل بآل البيت عليهم السلام وتقديم أساليب علميّة تطبيقيّة في هذا المجال.

٨- تصميم الرموز الخاصّة بالمعنويّة الإسلاميّة وتوزيعها على أفراد المجتمع بشكل متناسب.

٩- استعراض سِيَر العارفين المشهورين وكراماتهم وفضائلهم وأسلوب معيشتهم ضمن أنماط إعلاميّة متنوّعة.

١٠- تأليف القصص التي تتناول المسائل العرفانيّة والمعنويّة في النصوص والمصادر الإسلاميّة، إضافة إلى صياغة بعض الأدعية والمناجاة في قالب شعري ونثريّ.

١١- إعداد أفلام تبيّن كرامات كبار العارفين وأحوالهم الأخلاقيّة والعرفانيّة.

نتيجة البحث

تستند الحركات والمدارس الخاصّة بالمعنويّة الحديثة، ولا سيّما تلك التي ظهرت نماذجها في عقدي الستينيات والسبعينيات في قالب الحركات، أو أشباه الحركات الاجتماعيّة، تستند إلى مكوّنات الحداثة، ولا سيّما الإنسانويّة والعلمانيّة والعقلانيّة الأداتيّة وغير ذلك؛ لإيصال الإنسان المعاصر إلى السعادة عبر آراء جديدة وسهلة.

طبعًا، المقصود بالسعادة هي ذات المصاديق المختلفة والمتناثرة، والتي قد يصل بعضها إلى حدّ التناقض، فتلك الحركات والجماعات تشترك في بعض الخصائص أهمّها: امتلاكها لقائد كاريزماتي ذي رسالة فريدة تأمر الأتباع بالطاعة التامّة، وإشاعة المعنويّة الشخصيّة، والاقتباس من تعاليم الأديان الأخرى، ونَقد كُليَّانيّة الأديان، والسّعي إلى تقديم تصوّرات صريحة ودقيقة وواضحة عن الحقيقة، انفعاليّة ومضطربة للغاية في بناها المعرفيّة، وتختلف اختلافًا كبيرًا ومتناقضًا عن السنن التقليديّة، والتزامها بنمط معيشيّ مُعيّن والتمييز بين القريب والغريب ...

اليوم وبعد انقضاء عقود على تلك الحركات ونشاطاتها المعنويّة والمعرفة الاجتماعيّة ودراسة نتائج تلك النشاطات يمكن القول بأنّ جوهر تعاليم تلك الحركات يتألّف من مكوّنات أساسيّة يتناقض بعضها مع الثقافة المعنويّة للإيرانيين، ويشكّل تحدّيًا لها، وفي الحقيقة أنّ إشاعة مثل تلك المبادئ في الفضاء الثقافيّ الإيرانيّ قد يتسبّب في نشر معتقدات معنويّة غير منسجمة، مثل الإنسانويّة المعنويّة، وتحريف مفهوم المعاد، ونشر معنويّة إباحيّة وماديّة، وتقديم تعاريف أرضيّة للحبّ المعنويّ، وتعاريف ماديّة للراحة المعنويّة، وإشاعة المعنويّة المجرّدة من العقلانية، والجَري وراء الخرافات، وتحريف الوقائع، والدعوة إلى البلوراليّة الدينيّة، والإيمان المُفرط بالأستاذ، وحرف النشاطات المعنويّة إلى اللّهو الزائل، وغير ذلك. وقد تطرّقنا إلى بحث وشرح بعض تلك المعتقدات المتناقضة؛ ولهذا فإنّ رفع مستوى الوعي العامّ أمر ضروريّ ومطلوب، من أجل مواجهة المعنويّة الحديثة، وتحقيق المعنوية الإسلاميّة التي أشار إليها (بيان الخطوة الثانية للثورة).

ولرفع مستوى الوعي العامّ يمكن الإشارة إلى الاستراتيجيّات الرئيسيّة الثلاث:

اولًا؛ استراتيجية قصيرة المدى تحت عنوان (تشخيص المثالب المعرفيّة والثقافيّة والاجتماعيّة للمعنويّة الحديثة). ثانيًا؛ استراتيجيّة متوسطة المدى، وهي (تغيير نظرة الإيرانيين تجاه عقائد المعنويّة الحديثة). وأخيرًا؛ استراتيجيّة طويلة المدى بعنوان (ارتقاء الوعي بعيوب المعنويّة الحديثة ومحاسن المعنويّة الإسلاميّة، من أجل جنوح الإيرانيين نحو عقائد المعنويّة الإسلاميّة ومستلزماتها)؛ إلّا أنّه ينبغي العلم بأنّ معظم الاستراتيجيّات المذكورة عبارة عن مجموعة من الآليّات الدفاعيّة للتصدّي لشيوع المعنويّة الحديثة في إيران، من قبيل: الغزو الثقافيّ الناعم الذي هجم على الفضاء الثقافيّ الإيرانيّ، وترك بصمات جديرة بالتأمّل. ولو توقّفنا قليلًا عند التراث المعنويّ العرفانيّ لإيران الإسلاميّة، لتجلّى لنا بوضوح حجم هذا التراث القيّم وجودته، وهي مصادر عظيمة قادرة على تغيير الفضاء الثقافيّ في إيران المعاصرة، لا بل إنّه يمتلك إمكانات بالقوّة قادرة أيضًا على إيجاد التغييرات المعنويّة المطلوبة على المستوى العالميّ، وهكذا فإنّ إشاعة ونشر هذا التراث وقيمه المعنويّة والعرفانيّة، يتطلّب التأمّل العميق والقيام بمجموعة من الخطوات الوطنيّة والدوليّة الخاصّة بذلك.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المصادر

١. بيان الخطوة الثانية للثورة.

٢. أشو، شهامت، ترجمة: خديجه تقي پور، طهران، منشورات (فردوسي)، ٢٠٠١م.

٣. ـــــ، *آينده طلايي*، ترجمة: مرجان فرجي، طهران، منشورات (فردوسي)، ٢٠٠٢م.

٤. ـــــ، *يک فنجان چای*، ترجمة: مسيحا برزگر، طهران، منشورات (داريوش)، ٢٠٠٣م.

٥. ـــــ، *تعليمات تانترا ٣*، ترجمة: هما ارژنگي، طهران، منشورات (حم)، ٢٠٠٤م.

٦. تويتشل بال، *سرزمين‌های دور*، ترجمة: هوشنگ اهرپور، طهران، منشورات (نگارستان كتاب)، ٢٠٠٠م.

٧. ساي بابا ساتيا، *گيتاي جديد*، ترجمة: مرتضى بهروان، طهران، منشورات (آويژه)، ٢٠٠٣م.

٨. مورتي، كريشنا، *زندگي پيش رو*، ترجمة: پيمان آزاد، طهران، منشورات (صداي معاصر)، ١٩٩٧م.

٩. برمن، مارشا، *تجربه مدرنيته*، ترجمة: مراد فرهادپور، طهران، منشورات (طرح نو)، ٢٠٠٠م.

١٠. كياني، محمد حسين، *مولفه‌های معنويت نوپديد در ايران*، مجلّة (كتاب نقد) الفصليّة، العدد ٥٠-٥١، ٢٠٠٩ م، ص١٠٩-١٥٧.

١١. ـــــ، *برنامه‌ريزی راهبردی درباره ارتقا آگاهی عمومی در خصوص فرقه‌های جديد*، قم، مركز (مبنا) للبحوث (غير مطبوع)، ٢٠٢٠م.

١٢. مجموعة من المؤلّفين، *طرح مقابله با جنبش‌های نوپديد معنويت‌گرا*، قم، قسم الدعوة في الحوزة العلميّة (غير مطبوع)، ٢٠١٠م.